فقال ابو جعفر الترمذي النزول معقول والكيف مجهول والايمان به واجب
والسؤال عنه بدعة وابو جعفر هذا اسمه محمد بن احمد بن نصر وكان من كبار
فقهاء الشافعية ومن اهل العلم والفضل والزهد في الدنيا اثنى عليه الدارقطني وغيره
وقد قال في النزول كما قال مالك في الاستواء هكذا القول في سائر
الصفات وقد اختلف المثبتون للنزول هل يلزم منه خلو العرش
منه ام لا ونحن نشير الى ذلك اشارة مختصرة فنقول قالت
طائفة لا يلزم منه خلو العرش بل ينزل الى سماء الدنيا وهو فوق العرش قالوا وكذلك
كلما مس من الشجرة وهو فوق عرشه وكذلك يحاسب الناس يوم القيمة ويجيء ويأتي
وينطلق وهو مع ذلك فوق العرش لانه سبحانه اكبر من كل شيء كما دل عليه السمع والعقل
وهو العلي العظيم فلا يزال سبحانه على الموقات كلها العرش وغيره في كل وقت وفي
كل حال من نزول واتيان وقرب وغير ذلك فلو خلى منه العرش حال نزوله لكان
فوقه شيء وكان غيره عال وهذا ممتنع في حقه سبحانه لانه العلو من لوازم ذاته
فلا يكون غيره عال البتة ولا يكون فوقه شيء اصلا وقالت طائفة اخرى
بل خلو العرش منه لوازم نزوله فنقول ينزل الى سماء الدنيا ويخلو منه العرش
اذ النزول الحقيقي يستلزم ذلك والقول باثبات النزول مع كونه فوق
العرش غير معقول وكذلك القول بانه يحاسب الناس يوم القيمة في الارض
وانه يجيء ويقبل ويأتي وينطلق ويتبعونه وانه يمشي امامهم وانه يطوف في الارض
ويهبط عن عرشه الى الكرسي او غيره ثم يرتفع الى عرشه كما ورد هذا كله في الحديث
وانه كلم موسى عليه السلام من الشجرة حقيقة وهو مع ذلك كله فوق عرشه امر لا تتصوره
العقل ولم يدل عليه النقل فيجب القول به والانقياد له بل هو شيء لا يخطر ببال من سمع الا
حادث في ذلك وكان سليم الفطرة الا ان يوقف عليه من يعتقده فيتقرر في ذهنه
وقد علم ان نزول الرب تبارك وتعالى امر معلوم معقول كاستوائه وباقي
صفاته وان كانت الكيفية مجهولة غير معقولة وهو ثابت بحق حقيقة لا يحتاج الى تحريف
ولكن يصان عن الظنون الكاذبة وما لزم الحق فهو عين الحق

قال هؤلاء

قال هؤلاء ونحن اقرب الى الحق واولى بالصواب ممن خالفنا انا قلنا
بالنصوص كلها ولم نرد منها شيأ ولم نتأول بل اثبتنا نزول الرب تبارك وتعالى حقيقة
مع اقرارنا بانه العلي العظيم الكبير المتعال فلا شيء اعلا منه ولا اعظم ولا اكبر منه
ولا رب سواه هو الاول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي ليس بعده شيء والظاهر الذي
ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء وكونه عليا عظيما لا ينافي نزوله
حقيقة عند من عقل معنا النصين وفهم معنى الخبرين قالوا فنحن
قلنا بموجب النصين فاثبتنا العلو والنزول ولما خالفنا القائل بانه ينزل ولا يخلو منه
العرش فحقيقة قوله اما نفي معنى النزول بكليته واثبات مجرد لفظه واما حمله على
امر لا يعقل اصلا واما تفسيره بما يخالف اللفظ وحقيقته وهو القول بنزول بعض
الذات ثم انه يرد على قائل هذا ما اورده علينا من انه يبقى شيء من المخلوقات فوق بعض
الذات وذلك نقائض في العلو المطلق الذي هو من لوازم ذاته فنحن لنا لزم امران
احدهما ما اورده علينا والاخر مخالفته ظاهر اللفظ وحمله على المجاز دون الحقيقة
من غير دليل ونحن لا يلزمنا ذلك اصلا فانا جمعنا بين نصوص الكتاب والسنة
وقلنا بها كلها وحملنا على الحقيقة دون المجاز ما تأولنا ولا صرفنا منها
شيأ عن ظاهره بعقلنا قالت الطائفة الاولى القائلة بعدم الخلو بل
نحن اولى بالحق منكم فانا نحن القائلون بالنصوص كلها الجامعون بين الادلة العقلية والسمعية
واما انتم فيلزمكم مخالفة ما ورد من نصوص العظمة وان يكون المخلوق محيطا بالخالق
وما ذكرتموه من استلزام النزول لخلو العرش هو عين الجهل وانما ذلك لازم في نزول
المخلوق والله تعالى ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله وهو العالي
في دنوه القريب في علوه ليس فوقه شيء ولا دونه شيء بل هو العالي على جميع خلقه في نزوله
وفي غير حال نزوله وهو الواسع العليم اكبر من كل شيء واعظم من كل شيء وهو
المحيط بكل شيء ولا يحيط به شيء ما سموات السبع والارضون السبع وما فيهن
وما بينهن في يده الاخرى ليد احدكم وهو الموصوف بالعلو المطلق
ولم يزل عاليا ولا يكون الا عاليا سبحانه وتعالى في هذا كله ما يبطل قولكم